جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة– كلية العلوم الانسانية والاجتماعية–

قسم التاريخ

السنة الجامعية: 2023 –2024 **د.طيبي مهدية**

محاضرة: تاريخ المغرب الحديث **المستوى: الثانية ليسانس**

المحاضرة الرابعة : سياسة عبد الله الغالب بالله و محمد المتوكل و عبد الملك

- عبد الله الغالب بالله 1574/1557 م :

كان عبد الله الغالب في حياة والده حاكما على فاس وحين قتل الاتراك والده بويع دون ان يلقى مصاعب وتلقب بالغالب بالله انتقل مولاي عبد الله من فاس الى مراكش لان أنصار العثمانيين كانوا كثيرين في فاس كان مولاي عبد الله قاسيا إزاء اسرته قتل بعضهم وهرب ثلاثة من اخوته (عبد الملك واحمد وعبد المؤمن) الى الجزائر ومنح ولاية العهد لابنه محمد المتوكل.

تابع عبد الله الغالب سياسة والده الخارجية و الداخلية بذا عهده بصد هجوم عثماني شنه الاتراك بتحريض امير دبدوا اللاجئ اليهم و نجح بالحاق الهزيمة بالاتراك سنة 1558 و قد حاول حاكم وهران الكونت دالكودات استغلال هزيمة الاتراك هذه فهاجم الاتراك في مستغانم معتمدا فيما يبدوا على استمرار التحالف المغربي الاسباني و لكن الغالب لم يتدخل و فشل الهجوم الاسباني فشلا ذريعا عام 1558 م و في سنة 1560 م استغل الغالب بالله الصراع بين الاتراك و زعماء القبائل من بني عباس الذين كانوا حلفاء للاسبان و تعاون الغالب مع الاسبان فجاء اسطول اسباني الى المياه الجزائرية في حين استولى السعديون على تلمسان و لكن الاسطول الجزائري هزم الاسطول الاسباني فسارع السعديون الى الانسحاب من تلمسان في حين كان الاتراك يحتلون حجر بادس و استخدمتها البحرية الجزائرية قاعدة ضد السفن الاسبانية و البرتغالية و قد أشار السفير الفرنسي في مدريد في رسالة الى الملك شارل التاسع الى أهمية الجزيرة و موقعها الاسترتيجي سواء كان بالنسبة لساحل المغرب الشمالي ام بالنسبة للسواحل الاسبانية وتطرق الى الاعمال التي التي كان يقوم بها يحي ريس الذي عينه بايلرباي الجزائر حسن باشا حاكما عليها و لقب يحي ريس بسيد المضيق فقد كان يتحكم بالمرور في مضيق جبل طارق كما كان يهدد السواحل الاسبانية و كان الغالب بالله يتخوف من ان يستعمل الاتراك لبادس كقاعدة للهجوم على المغرب فاتفق مع ملك اسبانيا على إعطائه حجر بادس و اجلائها من المسلمين و كان هناك

قراصنة مغاربة ينشطون و يعملون لمجابهة الاسبان ريو مارتان قرب تطوان يدعمهم امير شفشاون الذي كان مستقلا في حكمه حيث تعاون عبد الله الغالب مع الاسبان للقضاء على التحالف و هاجم الاسبان ريومارتان و اغرقوا قوارب مليئة بالحجارة في الميناء و في الوقت نفسه حاصر السعديون- الغالب بالله- شفشاون و استولوا عليها

ويتهم مؤرخ مجهول الغالب بالله بالغدر لثوار الاندلس سنة 1568 م اذ وعدهم بالمساعدة فلما أعلنوا الثورة تخلى عنهم واتفق مع الاسبان ان يخرجوا الاندلسيين الى المغرب وكان قصده بذلك تعمير سواحله ويكون له منهم بمدينتي فاس ومراكش جيش عظيم ينتفع به في مصالح ملكه

نشطت أيام الغالب بالله التجارة مع فرنسا و بريطانيا و كان التجار الفرنسيون و البريطانيين يجنون مرابح ضخمة وقد جرت محاولة قام بها الفرنسي أنطوان دوبربون بموافقة سرية من ملك فرنسا يهدف الى تقديم قوة فرنسية مجهزة بأسلحة نارية للغالب بالله مقابل تسليم القصر الصغير الذي كان يفكر بإعطائه لإسبانيا مقابل نافار – منارة - ما وراء البيرينه ولكن ملك اسبانيا فليب الثاني رفض المشروع و بدأت العلاقات البريطانية المغربية في وقت مبكر بمبادرة من تجار انجليز كانوا يتحدون الاحتكار البرتغالي للتجارة في هذه المناطق و قد جلب هؤلاء الأسلحة و الذخيرة التي ساعدت السعديين على تحرير موانئ الجنوب المحتلة و قد شجع السعديين منذ بداية تحركهم التجار الأوربيين على كسر الاحتكار البرتغالي و توسعت هذه التجارة بعد تحرير اغادير و انسحاب البرتغاليين من اسفي و ازمور وقد قامت اول رحلة انجليزية معروفة سنة 1551 اشتركت فيها سفينتان بقيادة توماس ويندهام و قامت رحلة ثانية سنة اشتركت فيها ثلاثة سفن بقيادة ويندهام أيضا و استمرت الى عهد الغالب بالله وقد مول عدد من تجار لندن هاته الرحلات كان هذا التعامل التجاري مربحا للطرفين فقد السلاطين يربون الحصول على السلاح و الذخيرة و التجار المغاربة يرغبون الحصول على الاقمشة البريطانية التي يتزايد الطلب عليها يوما بعد يوم وقد اهتم الانجليز بنترات البوتاسيوم المغربية بما تمتاز به من نوعية متفوقة كذلك اهتموا بالسكر الذي تزايد الطلب عليه في اروبا في القرن 16 م و كان السلاطين السعدين قد توسعوا في زراعة قصب السكر .

- محمد المتوكل 1576/1574م:

مدحه مؤرخ مجهول " اعطى العطاء الجزيل للفقهاء والفضلاء والمساكين والضعفاء وتفقد أحوال الرعية وعدل في احكامه بين الناس بالسوية وكان متيقظا في احواله متانيا في افعاله منزها في أقواله وما علم انه زنى ولا شرب خمرا ولا مسكرا غيره قط وأكثر حركاته وجميع سعيه محمود ولا شيئا فيه مذموم سوى اتيانه بالنصارى لوادي المخازن "

بينما يذكر الافراني في النزهة ان " بعضهم يصفه انه كان متكبرا غير مبال بأحد و لا متوقفا في الدماء شديد العنف على الرعية " لم يطل به الامر فقد نجح عماه احمد المنصور و عبد الملك في الحصول على عون تركي بعد ان شاركا الدولة العثمانية في تحرير تونس

من الاسبان سنة 1574 و كان العلج علي يرغب في ادراج قوات عثمانية كبيرة للعمل في المغرب على ان يعمل الاتراك و المغاربة معا على طرد الاسبان من شمال افريقيا و قد نجح عبد الملك بفضل هذا العون من التغلب على ابن أخيه الذي تخلى عنه معظم جيشه و انظموا الى عمه و لم يستسلم المتوكل بسهولة بل قاوم بشدة في الجنوب و خاض أربعة و عشرون معركة ضد عميه ثم فر الى الشمال و لجأ الى البرتغاليين في طنجة .

- مولاي عبد الملك 1578/1576م:

كان عبد الملك واسع الأفق جراء غربته و قضائه فترة في البلاط العثماني فتعلم التركية و الاسبانية و الإيطالية و تاثير نمط الحياة العثمانية عامة كما اكتسب خبرة في المسائل الدولية و السياسية و التجارية و عمد على تشكيل الجيش معتمدا على عناصر من الاتراك و العلوج الموجودة في المغرب تولت الاشراف على المدفعية و الأسلحة النارية كما اعتمد على الاندلسيين الذين سارعوا بالانضمام اليه متخليين عن المتوكل لكرههم الشديد لعبد الله الغالب و ابنه المتوكل لخيانته للثورة الاندلسية و اعتمد كذلك على القبائل العربية التي شكلت العنصر الأساسي في قوة الخيالة

سار عبد الملك في سياسته الخارجية على السياسة السعدية التقليدية نفسها وهي سياسة المحافظة على التفاهم مع الاسبان ليؤكد بفضل ذلك استقلاله عن الاتراك وليحول من جهة أخرى دون تقديم مساعدة اسبانية للمتوكل الذي لجا في بداية الامر الى طلب مساعدة اسبانيا ويفسر هذا عدم اهتمام المسؤولين الاسبان بالمتوكل الذي اضطر الى اللجوء الى البرتغال

و تعود صلة عبد الملك بالإسبان الى أيام المنفى فقد فكر سنة 1572 م بالذهاب الى اسبانيا و كان وهو في استنبول – القسطنطينية – يطلع ملك اسبانيا على كل ما يجري في مقر السلطة العثمانية و حين تولى السلطة في المغرب تابع مفاوضاته مع الاسبان حول مشروع معاهدة عرض فيها انه لن يستخدم أحدا من الاتراك في ادارته و انه لن يهاجم ملك اسبانيا حتى لو طلب السلطان العثماني ذلك و ان يبلغ ملك اسبانيا عن نوايا السلطان العثماني العدوانية ضد اسبانيا و ان يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين عدم تقديم أي مساعدة للأتراك ضد الطرف الاخر و ان يتبادل الطرفان عند الحاجة المساعدة ضد الاتراك

و بالرغم من ذلك اتبع عبد الملك سياسة حذرة مع الاتراك متجنبا اثارة المتاعب معهم فقد عمد فور استلامه السلطة الى دفع مبالغ كبيرة من المال و عدد من المدافع ثمنا لمساعدتهم و ليضمن انسحابهم ووعدهم عبد الملك بعدم التدخل في تلمسان و بالتخلي عن سياسة التحالف مع اسبانيا كما انه سمح بالدعاء للسلطان العثماني على منابر المغرب و في الوقت الذي كان فيه عبد الملك يفاوض الاسبان كان على اتصال مستمر مع الاتراك يتبادل معهم السفارات سواءا كان ذلك في الجزائر ام في مقر السطلة العلية في الاستانة الا ان الأمور لم تستمر طويلا على هذا النحو و تبدوا ان المفاوضات بينه و بين اسبانيا و العثمانيين لم تسفر على شيء محدد

و اتصل عبد الملك بكل من فرنسا و بريطانيا و عرض على كل منهما مشروع تحالف فقد كلف غليوم بيزار الطبيب الفرنسي الذي عالجه في استانبول بسفارة لدى ملك فرنسا هنري الثالث لإبرام حلف بين المغرب و فرنسا و رغم عدم وجود أي إشارة لإبرام هذا الحلف فان غليوم بيزار سمي قنصلا لفرنسا في المغرب كما تقرب عبد الملك من ملكة بريطانيا اليزابيت و استدعى التاجرين البريطانيين جون ويليامز و جون بامبتون و اكد لهما رغبته في احترام جميع الاتفاقات التي كان ملوك المغرب قد عقدوها مع بريطانيا و اعرب للتاجرين عن عواطفه و تمنياته نحو ملكة بريطانيا معربا عن امله ان تزدهر تجارة المغرب في المستقبل و ذلك بان يقوم التجار البريطانيين بنقل منتوجات البلدان الأوروبية الى الشرق الإسلامي عبر الأراضي المغربية عوض نقلها عن طريق المانيا و إيطاليا

كان عبد الملك في امس الحاجة الى قنابل المدافع في صراعه مع المتوكل و قد قام التاجر الإنجليزي جون ويليامز الذي كان يعمل وكيلا لادمون هوجان احد كبار تجار لندن ببيع عبد الملك كمية كبيرة من قنابل المدافع مقابل كمية من نترات البوتاسيوم و تلقى عبد الملك رسالة من الملكة اليزابيت سلمها له ادمون هوجان مبعوث الملكة و ذكر هوجان ان عبد الملك ابدى رغبته في التعاون مع بريطانيا و انه لا يميل للملك الاسباني فليب الثاني لأنه يراه واقعا تحت تأثير البابا و محاكم التفتيش و ابدى استعداده لمنح التجار البريطانيين تسهيلات واسعة و وعد عبد الملك بإرسال سفير لعقد معاهدة تحالف مع ملكة بريطانيا و قد ردت الملكة تشكر عبد الملك على استعداده لمنح التجار البريطانيين تلك التسهيلات و طلبت منه ان يبقى خبر زيارة المبعوث المغربي طي الكتمان و يبدوا ان عبد الملك لم يكن مطمئنا للإسبان و ربما كان على اطلاع لمحاولات ملك البرتغال مع ملك اسبانيا للقيام بعمل مشترك ضد المغرب و بخاصة اجتماع الملكين في غوادلوب سنة 1577 م فقام بكشف هذه المحاولات مستغلا الصراع بين فليب الثاني و الملكة اليزابيت .